

الدرس السابع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين

أما بعد..

يقول الحافظ عبدالعظيم بن عبد القوي المنذري رحمه الله

[جامع ما جاء في صلاة الليل]

٢٤- [روى أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل " انفراد به مسلم]

الشرح..

هنا المصنف يورد الأدلة فيما يتعلق بصلاة الليل ؛ وصلاة الليل هي أحب الصلاة إلى الله بعد الصلاة المكتوبة وذلك أن القيام بين يدي الله خضوعاً وتذلاً ورجاء وطمعاً في جوف الليل ، بحيث يتجافى جنب المرء في المضاجع طمعاً وخوفاً رجاء ما عند الله فإن ذلك من أعظم القرب وأجل الطاعات ؛ لأن النفس مائلة للراحة والبقاء في الفراش ، فاذا وفق العبد ليقف بين يدي ربه يرجو ما عند الله فهذا من أعظم القرب وأفضل الصلاة بعد المكتوبة .

وأورد رحمه الله جملة من الأحاديث بدأها بحديث أبي هريرة رضي الله عنه وهو قول الرسول صلى الله عليه وسلم " أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله الحرام وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل "

هذا فيه فضل الفرائض وعلو شأنها وتقدمها في الفضل على النوافل وأنه ما تقرب متقرب بمثل ما افترض على عباده ولهذا لما ذكر صيام النفل جعله بعد الفرض ولما ذكر صلاة النفل جعلها بعد الفرض ولهذا جاء في الحديث القدسي " وما تقرب إلي عبدي بشي أحب مما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه " فالتقرب إلى الله بالنوافل يكون بعد المحافظة على فرائض الاسلام دون تعطيل لها.

ولهذا قال بعض أهل العلم : من حافظ على الفرائض وكانت مقدمة على النوافل فهو معذور أما من كانت محافظته على النوافل على حساب الفرائض فهو خاسر فهو بين مغرور أو مغبون .

فينبغي على المسلم أن تكون محافظته وعنايته على الفرائض مقدمة على النوافل . وأعظم النوافل في الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم ، وأعظم النوافل في الصلاة بعد الصلاة المكتوبة صلاة الليل كما جاء في الحديث ..

قال ابن حجر رحمه الله نقله عن بعض أهل العلم قال " من شغله الفرض عن النفل فهو معذور ومن شغله النفل عن الفرض فهو مغرور "

٢٥- [وروى أبو هريرة رضي الله عنه يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال " يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم ثلاث عقد إذا نام بكل عقدة يضرب عليك ليل طويل فارقد فإذا استيقظ فذكر الله تعالى انحلت عقدة وإذا توضأ انحلت عنه عقدتان فإذا صلى انحلت العقد فأصبح نشيطاً طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان " متفق عليه "

قوله " يعقد الشيطان " : اختلفت العلماء في تأويله ، فقيل : هو مثل و استعاذة من عقد بني آدم .
تعليق الشيخ : (قال " قيل هو مثل واستعاذة " هذا لا معنى له ؛ وإنما هي "مثل و استعاذة" بدل استعاذة)

وقيل : بل هو على ظاهره وأن الشيطان يفعل من ذلك نحو ما يفعله السواحر من عقدها ونفثها

وقوله " قافية أحدكم " أي قفاه ، ومنه قافية الشعر وهو آخر البيت [

الشرح..

هذا الحديث أورده رحمه الله في الحث على قيام الليل وقد أورده غير واحد من أهل العلم في هذا الباب -
باب الحث على قيام الليل -

قال [يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم]

وهذه العقد التي يعقدها الشيطان على القافية والقافية هي مؤخرة الرأس وهي عقد حقيقية

قوله [يضرب على كل عقدة عليك ليل طويل فارقد]

هذه العقد عقدها الشيطان لتمنع النائم من النهوض للصلاة والذكر فهي عقود تثبط المرء وتثنيه وتكسّله عن القيام إلى طاعته فهو يضرب ثلاث عقد كلها مثبتة عن النهوض والقيام ولا يفك العقد إلا نخوض المرء مستعيناً بالله مبتدئاً أول ما ينهض بذكر الله مثنياً بالوضوء مثلثاً بالصلاة فاذا حصلت هذه الأمور الثلاثة انفكت عنه هذه العقد .

قوله [يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم]

هو على عموميه إلا ما دل الحديث على استثنائه من ذلك وهو الذي ينام على ذكر الله متحصناً بقراءة القرآن والأذكار المأثورة عن النبي الكريم عليه الصلاة والسلام فإن من كان كذلك لا يقربه شيطان ولا يزال من الله عليه حافظ فمن قرأ أية الكرسي عندما يأوي إلى فراشه وقرأ الاخلاص والمعوذتين ونفث ومسح على بدنه كما جاء في الصحيح وجاء بالأذكار المشروعة كانت أذكاره حصناً حصيناً له وحرزاً واقعياً من الشيطان الرجيم قال الله (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين) أي أن الذاكر لا سبيل للشيطان إليه

وقال الله (واستفز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً) * إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلًا

قال بعض المفسرين: " إن عبادي " أي الذين يذكرون الله

" ليس لك عليهم سلطان " أي ليس لك عليهم سبيل

فالذاكر لله في حصن حصين يكون حافظاً واقعياً له بإذن الله من الشيطان الرجيم

قوله [يضرب على كل عقدة ليل طويل فارقد]

هذا يوضح أن المقصد من العقد هو تثبيط المرء عن النهوض المقيام لطاعة الله

قال [فاذا استيقظ فذكر الله تعالى انحلت عقدة واذا توضأ انحلت عنه عقدتان فاذا صلى انحلت العقد
فأصبح نشيطاً طيب النفس]

هذا فيه أن نهوض المرء وقيامه لأداء طاعة الله ومناجاته في جوف الليل من موجبات فك العقد ومن
موجبات قوة القلب ونشاط الروح والبدن ولهذا من موجبات قيام الليل راحة القلب ونشاط البدن
وسعادة القلب في الصباح كلها من فوائد وثمرات قيام الليل كما قال صلى الله عليه وسلم فأصبح نشيطاً
طيب النفس .

قوله [وإلا أصبح خبيث النفس كسلان]

يعني اذا استمر ولم ينهض يكون من موجبات خموله وكسله وأيضاً من خبيث النفس بل اذا استمر المرء
حتى يصبح يكون ذلك من موجبات بول الشيطان في أذنه بولا حقيقياً كما صح ذلك في الحديث ذكر
للنبي صلى الله عليه وسلم رجل نام حتى أصبح " قال ذاك رجل بال الشيطان في أذنه" والمراد بال في
أذنه بولاً حقيقياً

مثل ما عبر به أحد من السلف قال : يتخذ الشيطان أذنه كنيفاً له .. يعني مرحاضاً له ؛ يبول فيه ومن
هذا الذي يرضى أن تكون أذنه كنيفاً للشيطان ومكان لبول الشيطان..

وهذا يبين فضل الطاعة عامة وأهمية الصلاة خاصة فرضها ونفلها وأنها من الأسباب التي تقي العبد من
الشيطان .

والعلماء رحمهم الله اختلفوا في المراد بالصلاة هنا التي ينهض لها العبد .. هل هي الفرض التي هي صلاة
الفجر، أم النفل التي هي قيام الليل على قولين لأهل العلم في معنى هذا الحديث وما من شك أن قيام
الليل والنهوض في جوف الليل ولا سيما ثلث الليل الآخر من أعظم موجبات السعادة والراحة من بركة
المرء في يومه ومن أعظم موجبات قرّة العين وراحة البال هذه كلها آثار عظيمة ومباركة يجنيها لمن يوفقه
الله لقيام الليل .

قال [اختلفت العلماء في تأويله] أي تأويل يعقد الشيطان

[فقليل هو مثل واستعارة]

يعني ليست عقد حقيقية هذا قول وإنما هي تمثيل واستعارة من عقد بني آدم وهذا الكلام الباطل لا يصح لان القاعدة عند أهل السنة وينبغي أن تضبط أن الأمور الغيبية تمر كما جاءت ويؤمن بها كما وردت دون صرفها عن ظاهرها ، وأما تأويلها وصرفها عن مرادها والزعم أنها تمثيل و استعارة هذا كله من التخرص والقول في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بلا علم .

قال [وقيل بل هو على ظاهره]

هذا هو الحق والحق أن الأمور الغيبية التي يخبر بها صلى الله عليه وسلم يؤمن بها على ظاهرها

قال [وقيل بل هو على ظاهره وأن الشيطان يفعل من ذلك نحو ما يفعله السواحر من عقدها ونفثها]

وفي القرآن قال الله (ومن شر النفاثات في العقد) أي السواحر اللاتي يعقدن عقداً ينفثن فيها .

وقوله [قافية أحكم] أي قفاه

[ومنه قافية الشعر] وهو آخر البيت

٢٦- [وروى مسروق قال : قلت لعائشة : أي الأعمال أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت : الدائم قلت : فأني الليل كان يقوم قالت : إذا سمع الصارخ . متفق عليه والصارخ : الديك قاله أبو عبيد الهروي]

الشرح..

أورد رحمه الله هذا الحديث عن مسروق عن عائشة

[قال : قلت لعائشة]

أي أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق عائشة رضي الله عنهما

[أي الأعمال أحب إلى رسول الله]

وهذا السؤال من مسروق رحمه الله وهو من علماء التابعين له نظائر كثيرة من الصحابة رضي الله عنهم يسألون النبي صلى الله عليه وسلم عن أي العمل أفضل أو أي العمل أحب وهذا يدل على حرصهم على العمل ومعرفة فضائل الأعمال وأي الأعمال أفضل ، وهذا ينبّه طالب العمل أن المقصود من قراءة فضائل الأعمال ليس مجرد الوقوف عليها وإنما الغرض منها العمل بها والقيام بها على الوجه الذي يرضيه سبحانه وتعالى ويفوز بثواب الله " ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي عليها ولئن سألني لأعطينّه ولئن استعاذ بي لأعيذنه " فالغرض منها أن تكون معونة له على الاعمال .

قال [أي الأعمال أحب إلى الله قالت الدائم]

وهذا هو أحب العمل إلى الله كما قال النبي صلى الله عليه وسلم "أحب العمل إلى الله أدومه وإن قلّ" فالدائم هو الأحب ولو كان قليلاً يداوم عليه العبد فقليل دائم خير من كثير يفعله المرء مرة أو مرتين أو ثلاث ثم يملّ وينقطع . فأحب العمل الدائم أي الذي يداوم عليه صاحبه وهذه المسألة مسألة الديمومة في العمل والاستمرار هي من المسائل المهمة في باب الاستقامة على طاعة الله سبحانه وينبغي أن يعتنى في هذا الباب عناية عظيمة لأن كثيراً ممن يدخل الاستقامة حديثاً ونفسه مقبلة على الطاعة كل ما سأل شخص عن الأعمال أعطاه كمية من الأعمال فيفعلها كلّها وقت اقبال نفسه على الطاعة ثمّ بعد أسبوع أو شهر يرى أن العمل شاق وثقيل وأنه لا يستطيع أن يصبر عليه فيتركه ؛ وهذا من الجهل في باب الاستقامة .

وباب الاستقامة باب تدرج بالنفس وتمرين لها على طاعة الله سبحانه وتعالى ؛ في أعمال تبقى للمرء يداوم عليها لا أن يفعلها مرة أو مرتين ثم ينقطع عنها ، فأحب العمل إلى الله أدومه وإن قلّ

مثلاً قراءة القرآن ، كون المرء يثبت له نصف صفحة يواظب عليها يومياً خير له من أن يأتي يوماً واحداً ويقرأ القرآن كله ثم يترك قراءته يحس أنها ثقيلة وتأخذ وقتاً طويلاً . وقل مثل ذلك في كل الأعمال فأحب العمل إلى الله أدومه وإن قل .

قال [قلت فأني الليل كان يقوم]

سؤاله هنا كما هو واضح سؤال عن الأفضل لأن الليل كله وقت قيام لان النبي صلى الله عليه وسلم كما صح عن عائشة نفسها من كل الليل أوتر من أوله ومن وسطه ومن آخره لكن سؤاله عن الأفضل .

قال [فأي الليل كان يقوم قالت : اذا سمع الصارخ]

الصارخ هو الديك مثل ما قاله أبو عبيد وغيره من أهل العلم،

ماذا يشرع للمسلم أن يقول اذا سمع صوت الديك ؟ يشرع للمسلم أن يذكر الله ، والدّيك يوقظ المسلم . وقبل وجود الأجهزة الحديثة المنبهة كانوا يقومون على صوت الديك ويسمى الصارخ لأنه بعد منتصف الليل وفي حدود الثلث الأخير من الليل يبدأ يصيح فيكون صياحه منبها للناس على أن الليل قد انتصف ، وصراخ الديك يبدأ بعد منتصف الليل يعني في حدود ثلث الليل الآخر يعني وقت القيام.

وورد حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم مرّ معنا يتعلق بفضل الديك فيما يتعلق بهذا التنبيه قال النبي صلى الله عليه وسلم " لا تسبّوا الديك فإنه يوقظ للصلاة " أخذ منه العلماء فائدة ألا وهو فضل أهل العلم ؛ اذا كان النبي صلى الله عليه وسلم نحى عن سبّ الديك لأنه يوقظ للصلاة فكيف الأمر بالعلماء الذين يوقظون القلوب وينبهون الغافلين ويعلمون عباد الله ويوضحون لهم الدّين ؛ والإيقاظ الذي يكون من أهل العلم أعظم من الإيقاظ الذي يكون من الديك .. ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن سبه معللاً النهي عن سبه بأنه يوقظ للصلاة فأخذ العلماء من هذا النهي عن سب العلماء .

٢٧- [وروى عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم " يا عبد الله

لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل فترك قيام الليل " متفق عليه]

الشرح..

قال [يا عبد الله لا تكن مثل فلان]

الغالب والله أعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يسمي أحداً لأنه اختلف هنا هل الذي أجهم الاسم هو النبي صلى الله عليه وسلم أو الراوي أو الرواة عن عبدالله بن عمرو لكن الغالب أن النبي صلى الله عليه وسلم أجهم الاسم ولم يقصد معيناً ، وأجهمه سترأ عليه

والإيهام في مثل هذه الحال أولى من التصريح لأمرين :

الأول : سترأ على الشخص

وثانياً : الأمر الذي عليه قد يتوب منه ولا يستمر عليه قد يقوم الليل.

فالنبي صلى الله عليه وسلم قال [لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل فترك قيام الليل]

هذا فيه التأكيد على المعنى المتقدم أحب العمل الدائم ، وكون المرء يداوم من الليل على ثلاث ركعات أو خمس ركعات خير من كثير ينقطع فهذا الحديث فيه التأكيد على معنى المداومة والاستمرار على العبادة .

٢٨- [وروت عائشة رضي الله عنها قالت ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيد في شهر رمضان ولا غيره على إحدى عشرة ركعة يصلي أربعاً فلا تسئل عن حسنهن وطولهن ثم يصلي أربعاً فلا تسئل عن حسنهن وطولهن ثم يصلي ثلاثاً فقالت عائشة رضي الله عنها فقلت يا رسول الله أتنام قبل أن توتر قال يا عائشة إن عيني تنامان ولا ينام قلبي " متفق عليه]

٢٩- [وروى القاسم قال سمعت عائشة رضي الله عنها تقول " كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل عشر ركعات ويوتر بسجدة ويركع ركعتي الفجر فتلك ثلاث عشرة ركعة " متفق عليه]

الشرح..

ثم ختم رحمه الله بهذين الحديثين .. بذكر عدد الركعات التي كان يركعها النبي صلى الله عليه وسلم من الليل وأنه ما كان يزيد على إحدى عشرة ركعة ووصفت عائشة رضي الله عنها هذه الإحدى عشرة ركعة

[إحدى عشرة ركعة يصلي أربعاً فلا تسئل عن حسنهن وطولهن ثم يصلي أربعاً فلا تسئل عن حسنهن وطولهن ثم يصلي ثلاثاً]

فهذه صلاته من الليل وكان يطيل فيها وثبت عنه قولاً وفعلاً أنه يفتتح صلاة الليل بركعتين خفيفتين وأيضاً أمر بهذا، فالسنة أن يفتتح المرء صلاته من الليل بركعتين خفيفتين ؛ ذكر العلماء الحكمة في ذلك : أنها تنشط المرء وتهينه للإطالة فيها ثم يطول في الباقي ويختم صلاته من الليل بركعة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم " اجعلوا آخر صلاتكم من الليل وتراً"

وقوله في الحديث الأخير بهذا الموضع [ويوتر بسجدة] أي بركعة .

وبهذا انتهى ما يتعلق بصلاة الليل وموضعها في الليل كله من بعد صلاة العشاء إلى أذان الفجر هذا كله وقت صلاة الليل حتى لو كان المرء مسافر فقدم العشاء مع المغرب يبدأ معه صلاة الليل من بعد العشاء فالحاصل أن وقت العشاء وقت متسع إن شاء صلاها في أوله أو وسطه أو آخره لكن لا يفوت على نفسه هذا الحظ والنصيب من الليل وأفضل وقت لقيام الليل في الثلث الليل الآخر كما مرّ معنا إذا سمع الصارخ وهو وقت التنزل الإلهي - كما جاء في الصحيحين وغيرهما - وهو حديث متواتر عن نبينا عليه الصلاة والسلام قال: " ينزل ربنا في ثلث الليل الآخر وذلك كل ليلة فيقول من يسألني فأعطيه من يدعوني فأستجيب له من يستغفري فأغفر له " وهو أخرى أوقات الاجابة وأعظم أوقات الاستغفار

(كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون)

وقال تعالى (والمستغفرين بالأسحار).

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، اللهم صلّ وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد و آله وصحبه